الاصول الاولى في فكر الرازي الميتافيزيقي

د . عامر عبود النفاخ
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ان دعائم فلسفة الرازي قائمة على أساس القول بالقدماء الخمسة والتي من خلالها أقام عليها الرازي بناء فكره' الميتافيزيقي فالآراء الميتافيزيقية نلمسها بوضوح من خلال تلك الاقوال المتعددة في الله والنفس الكلية والهيولي والزمان المطلق والمكان المطلق ومن هنا يمكن القول بأن الرازي قد استفاد الكثير من تلك الآراء المطروحة التي اطلع عليها وتأثر بها فأخذ منها ما رآه ضروريا ومفيدا في منهجه الفلسفي .. ومن بين الجماعات التي تأثر بها الرازي هم الصائبة الحرانيون الذين نادوا بفكرة القدماء الخمس في التراث الفلسفي القديم حيث سبقوا الرازي في هذه الفكرة فقالوا اثنان منهما حيان وهما الله الفاعل الازلي القديم ، والنفس الكلية التي هي قديمة قدم النفس والتي هي مصدر الارواح البشرية والحيوانية والسماوية وهي قديمة غير حادثة اما الثلاثة المتبقية فهي غير عالمة منها الهيولى، والفضاء والدهر . فالرازي وقف على تلك الاقوال وطورها وبنى على اساسها نظريته في الخلق .

كما تأثر الرازي بأفلاطون واخذ من فلسفته الشيء الكثير خاصة اراءه في النفس وقواها واللذة والألم .

نبذة عن حياته ونبوغه الفكري :

لم تذكر المصادر القديمة والحديثة عن حياة الرازي الشيء الكثير فجاءت اراء قليلة ومتضاربة لاتروي ظمأ الباحث ولا تعين على معرفة الظروف التي واكبت مسيرة الرازي الفكرية ونبوغه الثقافي فكثرت فيه المستجدات والاقوال المختلفة حتى في اسمه .

الرازي هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي(١) ولد في مدينة الري التي تعتبر من المراكز الثقافية المهمة في تلك الحقبة الزمنية(٢) كان لهذه المدينة اثرا كبيرا في نشأة الرازي الفكرية والعلمية من حيث انها جمعت بين الطبيعة الجمالية مع الفكر والادب الذي كان سائدا في تلك الفترة فأخذت بوادر فكره تظهر في الافق(٣) .

ولم تحدد المصادر بالضبط السنة التي ولد فيها الرازي . ولكن الرأي الصائب ان ولادته كانت مواكبة لوفاة ابو يوسف الكندى(٤) وقد حددتها بعض المصادر ٢٥١هـ ـ ٨٦٥م (٥) .

بدا الرازي بدارسة الطب وهو في الثلاثين من عمره على يد استاذه يحى بن يوحنا وداب الرازي على طالب العلم والمعرفة وخاصة العلوم العقلية حيث درس الفلسفة والادب والمنطق والكيمياء وكان شديد الولع في الموسيقى ودرس الحكمة على يد استاذ من اهالي بلخ يدعى (البلخي) وهو واسع العلم والثقافة متخصص في الفلسفة والعلوم القديمة .

---

(١) الفهرست لابن النديم ـ تحقيق رضا تجدد ص ٣٥٧ .
(٢) د . فرات ، فائق ـ الرازي حياته ومآثره ص ١٠ .
(٣) د . محمد العبد ، عبد اللطيف ـ اصول الفكر الفلسفي عند الرازي ص ١٣ ـ ١٥ .
(٤) د . فروخ ، عمر ـ تاريخ الفكر العربي حتى ايام ابن خلدون ص٢٣٤
(٥) د . ناجي التكريتي ـ د . صالح الشماع ـ رسائل فلسفية ص ٧

وهو احد تلاميذ ابو يوسف الكندي . كما يشير الدكتور عمر فروخ في معرض حديثه عن حياة الرازي من ان محمد بن زكريا الرازي قد استفاد كثيرا من ابي الحسن بن علي زيد الطبري في الطب حتى أصبح رئيسا لمستشفى الري(٦) . ويمكن القول بأن النقطة الحاسمة في حياة الرازي هي انتقاله الى مدينة بغداد مدينة العلم ومنار المعرفة والمكان الذي يحلم به كل طالب علم من اجل الوصول اليه لتوسيع آفاقه الثقافية والفكرية هذه المدينة التي كانت زاخرة في العلم والعلماء والمفكرين والاطباء اضافة الى كون ان مدرسة الحكمة قد بلغت اوج ازدهارها في تلك الفترة(٧) .

لقد بلغ الرازي في المرحلة هذه ذروة نبوغه الفكري وحقق نتاجات باهرة عجز عنها الكثير من الفلاسفة والمفكرين والاطباء وشغل الكثير من المناصب منها عمله طبيبا ورئيسا لمستشفى الطب في بغداد ، وازدادت شهرة الرازي في الطب فصار امام الاطباء في زمانه واصبحت له مدرسة للطب فيها الكثير من الكتب والادوات الطبية كانت قبلة لطالبي العلوم الطبية في عصره حيث عمل فيها استاذا وطبيبا معالجا في آن واحد(٨) .

ومن اشهر تلاميذ الرازي ابو بكر بن مازن الرازي ويوسف بن يعقوب وابو زكريا يحيى بن عدي كما روى عن الرازي عدم استقراره في حياته فتراه ينتقل من مكان الى مكان ومن بلاط الى بلاط ومن مستشفى الى اخرى(٩) .

والنقطة الاخرى في مسيرته الفكرية ، هي انكفائه على التاليف والكتابة في هذه المرحلة التي تعتبر اغنى واوفر المراحل الفكرية .

---

(٦) فروخ ، عمر وتاريخ الفكر العربي حتى ايام ابن خلدون ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .
(٧) د . فرات ، فائق — الرازي حياته ومآثره ص ١٣ — ١٤ .
(٨) نفس المصدر السابق ص ١٤ — ١٦ .
(٩) نفس المصدر السابق ص ١٥ — ١٨ .

حيث ترك لنا الرازي تراثا فلسفيا ضخما لم يترك بابا من ابواب المعرفة الا وطرقه فالف العديد من الكتب والرسائل في حقول الفلسفة والطب والفلك والكيمياء والادوية والرياضيات والمنطق وما وراء الطبيعة وبالرغم من ضخامة كتب الرازي فلم يصلنا منه الا النزر القليل وهي عبارة عن اقوال متناثرة ورسائل صغيرة باستثناء بعض الكتب الطبية والتي سنتحدث عنها لاحقا(١٠) .

وبعد هذه الوقفة على مراحل تطور الرازي الفكرية لابد من الاشارة الى ان وفاة الرازي على وجه الترجيح سنة ٣١٣ هجرية وبذلك انطوت صفحة مشرقة في تاريخ الفكر الفلسفي العربي الاسلامي مخلفا لنا تراثا فلسفيا كبيرا(١١) .

سيرته الفلسفية :

لقد دأب الرازي منذ صباه على دراسة الفلسفة حيث كان يعرف عنه انه ميالا الى العلم والمعرفة ، وقد ساعدته في ذلك براعته الفكرية وعمق بصيرته الثقافية فبرع فيها براعة السابقين مع تمييز كبير واستقلال في الشخصية الفلسفية حيث كان يرى ان الفلسفة سبيل موصل الى الحق وانها سبيل لاصلاح المجتمع والفرد فلم تكن فلسفة الرازي انعزالية بعيدة عن الواقع بل ان فلسفته تتصل بالواقع الانساني وتسلم به وتصلح من شأنه(١٢) .

---

(١٠) فروخ ، عمر ـ تاريخ الفكر العربي حتى ايام بن خلدون ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(١١) د . الالوسي ، حسام محي الدين ـ ملزمة محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ١٦ .

(١٢) د . محمد العبد ، عبد اللطيف ـ اصول الفكر الفلسفي ص١٥ـ١٦

فكتب الرازي لنفسه السيرة الفلسفية التي يتخذ فيها سقراط مثلا رائعا للفيلسوف المقتدر الذي يحتذى به ويسار على طريقه واذا كان في سيرة سقراط الاولى نوع من العيب والتناقض في مجاراة الطبع والعادة في لبس الملابس الفاخرة واكل اللحوم والانجاب وشرب الخمور فذلك يرجع الى سيرته الاولى فمن قال عنه هذا فقد صدق القول لكن وكما يقول الرازي ومع صدقهم هذا فقد جهلوا من سيرة سقراط الشيء الكثير فقد عاش حياته أسوة بالاخرين فتزوج وانجب وحضر مجالس اللهو واكل اللحوم فعاش حياته الدنيا كباقي البشر(١٣) .

ومن هذه الناحية نلمس بوضوح مدى اطلاع الرازي على معارف السابقين واستقصاء اخبارهم فأعطى للفلاسفة قيمة كبيرة ، ونظر اليهم نظرة اعجاب واحترام فالرازي لم يكن مقلدا لاراء السابقين بل وجد في معارف السابقين ما يؤدي الى توسيع فكره فقد كان يحسن الاختيار بحكم عقله المستنير ونبوغه الفكري(١٤) .

يتناول الرازي موضوع السيرة الفلسفية من وجهة نظر ميتافيزيقية تتعلق بفكرة خلود النفس وانفصالها عن البدن ورجوعها الى عالمها الاول عالم الازليه فيقول « ان الانسان الفاضل ذا السيرة الفلسفية القويمه يعيش دينا واخرته سعيدا والانسان الشرير يسقط في الشقاء في الاخره » ان في النفس عنصرين متعارضين يحاول احدهما النيل من الاخر ـ العقل والشهوة ـ فالانسان الفاضل القويم هو من حكم عقله بعاطفته وكبح جماح عاطفته(١٥) .

وما دمنا بصدد دراسة اللذات فان هنالك نوعين من اللذات ، اللذات

---

(١٣) « رسائل فلسفية » حققها ونشرها يول كراوس ص ٩٩ .
(١٤) د . محمد العبد ، عبد اللطيف ـ اصول الفكر الفلسفي ص٢٢ـ٢٧
(١٥) السيرة الفلسفية (منشور ضمن رسائل فلسفية) ص ١٠١ .

الدائمة واللذات الوقتية او اللذات العاجلة واللذات الاجله فقد تترتب على اللذة العاجلة ألم ويكون في لذة آجله خير لذلك فان الانسان قد يفضل اللذات الاجله على اللذات العاجلة المنطوية على ألم ، والرازي يتناول هذه المسألة بنظرة دينية فيقسم اللذات الى قسمين لذات دينوية ولذات اخروية فاللذات الدينوية تكون منقطعة تنتهي بأنتهاء العمر اما اللذات الاخروية فهي لذات دائمة تسعد فيها النفس الانسانية المتطهرة من ادناس البدن فينبغي ان نعمل ما في وسعنا من أجل ترويض النفس برياضات بدنية للوصول الى هذه المرتبة(١٦) .

ثم يتحدث الرازي في السيرة الفلسفية عن اكتساب اللذات ويرى ان البشر متفاوتين في اكتساب اللذات حسب احوال الناس ومستواهم الاجتماعي فيقول « ومنهم غنى نعمه ومنهم غنى بؤس ومنهم من تطالبهم أنفسهم ببعض الشهوات مطالبة اكثر كالمغرمين بالنساء والخمر وحب الرياضه »(١٧) .

كان ذلك تفاوتا في الألم يؤدي الى قمع الشهوات والتخلص منها بتاتا . وفي جانب اخر لا يرى ضرورة في قمع الشهوات نهائيا والتقشف والتقلل من كل ملذات الحياة الدنيا لكن بشرط ان يسير وفق حاجات الجسم من الملبس والمشرب والمأكل ولا يميل الى لبس فاخر الثياب وأكل ما لا يتحمله الجسم ولا يسكن بأفخم القصور لذلك فالرازي نراه يفضل ابناء الفقراء والناشئين على احوال فقيرة فهؤلاء في نظره اسهل الى التقشف والتقلل مثلما كان سقراط اسهل من افلاطون في هذه الناحية(١٨) .

---

(١٦) نفس المصدر ص ١٠٢ .
(١٧) نفس المصدر ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .
(١٨) انظر السيرة الفلسفية (ضمن رسائل فلسفية للرازي) ص ١٠٧ .

ويتفق الرازي مع الكندي في تعريف الفلسفة بأنها التشبه بالله عز وجل بقدر طاقة الانسان مثلما يتشبه العبيد بأسيادهم ويأخذوا بسيرهم فعلى الفيلسوف ان يتشبه بالله فاذا فعل ذلك استحق ان يسمى فيلسوفا(١٩) .

ان لقب الفيلسوف هو من تبحر في علم الفلسفة بجزئيها العلمي والنظري ومن شغل جهده بواحد منهما لم يكن ذلك فيلسوفا وسقط عنه الاسم(٢٠) ، ويشير الرازي الى نفسه فيقول « اما فى باب العلم ممن قيل لو لم يكن عنه فيه الا القوة على التأليف مثل هذا الكتاب لكان ذلك يؤدي الى ان يسقط عن الاسم فضلا عن مثل كتابنا في البرهان والعلم الالهي والطب الروحاني والزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء(٢١) .

والجزء العلمي في نظر الرازي هو اهم جزء في الفلسفة بواسطته تصبح لتصورات الذهنية افعالا ملموسة بغض النظر اذا كانت خيره ام شريره فما هي فائدة الفلسفة اذا كانت مجرد تأملات او افكار في الذهن وما قيمة السيرة العادلة اذا لم تلمسها في سلوك الانسان في المجتمع .

ويتفق الرازي مع ابيقور ان الفلسفة هي كتاب مفتوح لكل انسان وانها طريق الخلاص الوحيد فاذا اجتهد الانسان وشغل نفسه بالنظر والبحث فقد سار في طريق الحق لان النفس لا تصفو بمعرفة هذا العالم الا بالنظر والتأمل (وهي الفلسفة) التي لها القدرة على تطهير النفس وهذه بنظر الرازي وسيلة لابد ان يتبعها كل فيلسوف ينشد ان يلقب بهذا الاسم(٢٢) .

---

(١٩) السيرة الفلسفية ص ١٠٨ .
(٢٠) د . التكريتي ، ناجي ـ الفلسفة الافلاطونية ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٢١) السيرة الفلسفية (ضمن رسائل فلسفية) ص ١٠٩ .
(٢٢) راجع الموسوي ، موسى من الكندي الى ابن رشد ص ٦٣ .

يقول الرازي « ولم يظهر في افعالي ما استحققت ان يقال انه ليست سيرتي سيرة فلسفية واني اصحب السلطان صحبة حامل سلاح ولا متولي لاعماله بل صحبة متطبب ومنادم » .

ويقول في موضع اخر من السيرة الفلسفية « وما ظهر مني على شره في جمع مال ولا على منازعات الناس ومخاصمتهم وظلمهم »(٢٣) وينكر عن نفسه في مأكل او مشرب او ملبس وبأنه كان محبا للعلم منكبا عليه فاذا كانت هذه الحالة فمن الضروري ان ينال الرازي مرتبة الفلاسفة خاصة في الجزء العلمي من الفلسفة ويدعو الرازي الناس الى السيرة الفلسفية الفاضلة والتمسك بها او التشبه بها ان امكن لهم ذلك .

مؤلفاته :

ترك لنا الرازي تراثا فلسفيا ضخما في شتى علوم المعرفة والعلم فالف في الطب والكيمياء وصناعة الدواء والفلسفة والاحجار بحيث ظلت مؤلفاته ركنا مهما من اركان التعليم في مدارس اوربا الطبية ، ترجم بعضها الى العبرانية وبعضها الى اللاتينية ، « ان مؤلفات الرازي بلغت زهاء٢٥٩كتابا ورسالة واذا حذفنا ما نجده مكررا نصل الى ما يقرب من٢٣٣ كتابا ورسالة منها ما هو كبير مثل كتاب الحاوي في الطب ومنها ما هو صغير كرسالة في الهيولي »(٢٤) .

ومع ضخامة مؤلفات الرازي فلم تصلنا الا شذرات من كتبه فما فقد منها اكثر مما هو موجود بل ان اغلب رسائله مخطوطه لم تنشر بعد بحيث لا نجد في مكتبتنا العربية الا اجزاءا صغيرة ومقتطفات ورسائل قليله من اثار الرازي الفلسفية تغلب عليها الكتب الطبية فالمصادر القديمة تباينت

---

(٢٣) راجع السيرة الفلسفية للرازي ص ١٠٩ ـ ١٠١ .
(٢٤) الجلبي ، داود ـ الرازي ص ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ .

في احصاء مؤلفاته ومن هذه المصادر الفهرست لابن النديم وتاريخ الكيمياء للقفطي وعيون الابناء لابن ابي اصبيعة، فقد ذكر ابن النديم في معرض حديثه عن مؤلفات الرازي ، فاحصى لنا ما يقارب على مائة واربعين كتابا ورسالة(٢٥) .

وذكر لنا بول كراوس على ما يقرب من ٢٢٢ كتابا ورسالة وكانت معظمها تتدرج في الطب الذي يجمع طب الاغريق الى طب العرب الى طب الرازي(٢٦) .

لقد أبدع الرازي في كلا الحقلين الطب والفلسفة واشتهر وبرع في الطب اكثر من الفلسفة فكان طبيبا حاذقا مبدعا بفنه الدوائي والعلاجي ، اي انه يكاد يفوق ابن سينا في الطب والصناعة الدوائية ، بل ان معظم المصادر التي تحدثت عن مؤلفات الرازي تشتمل على كتب ورسائل في الطب والعلاج والادوية . فمن المرجح ان شهرة الرجل الطبية جعلت الباحثين يهتمون اكثر في كتبه الطبية ولعل هذا هو السبب الذي جعل الكثير من الباحثين القدماء والمحدثين يضعونه في قائمة اطباء الاسلام وينظرون اليه كطبيب وليس كفيلسوف . وهذا مجرد افتراض افترضه قد اكون على خطأ او على صواب فلو قمنا بفحص المصادر القديمة والحديثة التي فهرست لكتب الرازي لنجد تلك الحقيقة واضحة المعالم .

فقد اشار الدكتور عمر فروخ في حديثه عن مؤلفات الرازي ان الغالبية العظمى منها طبيه ومنها كتاب الحاوي في الطب وكتاب الطب الروحاني وكتاب في القولنج وكتاب في مرض الزكام اضافة الى الكثير من

---

(٢٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٨ ـ ٣٢٩ .

(٢٦) يول كراوس رسائل فلسفية للرازي ص ١ المقدمة .

مؤلفاته الاخرى في هذا الميدان من العلم(٢٧) .

ويذكر بينس في كتابه مذهب الذرة عند المسلمين ان مؤلفات الرازي دارت حول موضوعات مختلفة من طبية الى ميتافيزيقية ومنها ردود ومناظرات لبعض الفلاسفة القدماء في الفكر اليوناني ويعد كتاب الحاوي في الطب اضخم موسوعة طبية بل ظلت من اعمدة المناهج الطبية في اوربا حتى القرن السابع عشر(٢٨) اما مؤلفاته النفسية فقد شملت :

أ ـ كتاب الطب الروحاني او طب النفوس .

ب ـ كتاب في النفس الكبيره .

جـ ـ كتاب في النفس ليست بجسم .

د ـ كتاب في النفس المقتره .

هـ ـ كتاب في السيرة الفاضلة .

ز ـ كتاب في ميزان العقل .

و ـ كتاب في مخاريف النبوة(٢٩) .

الاتجاه الميتافيزيقي للنفس :

يتضمن هذا الموضوع عددا من المسائل الرئيسية في نظرة الرازي الميتافيزيقية للنفس وهو الاتجاه الاول في غضون الاتجاه الاخلاقي الذي سوف اتحدث عنه في دراسة مستقلة اما في هذه الدراسة فسأتناول عدد من الموضوعات الرئيسة في مبحث النفس بأطر ميتافيزيقية تخص النفس الكليه والنفوس الجزئية ونظرة الرازي الى قدم النفس وخلودها

---

(٢٧) فروخ ، عمر ـ تاريخ الفكر العربي حتى ايام ابن خلدون ص٢٣٥ ـ ٢٣٧ .

(٢٨) بيبس ـ مذهب الذرة عند المسلمين ـ ترجمة عبد الهادي ابو ريده ص ٨٤ ـ ٩٠ .

(٢٩) الجلبي ، داود ـ الرازي ص ٢٠ ـ ٥٣ .

وكذلك اثرها في نظرية الخلق بأعتبارها ثاني القدماء الخمس والتي تكون مجمل الاراء الميتافيزيقية لفكر الفيلسوف .

اولا : النفس الكلية :

لم يكن الرازي اول من تطرق الى موضوع النفس الكليه ، فقد لعبت النفس الكلية دورا كبيرا في الفلسفة اليونانية وخاصة عند الرواقيين حيث تحدثوا عن النفس الكليه ووجدوها في العالم من حيث هي مصدر الحياة في العالم فنظرات الرواقية الى العالم على انه كل واحد (جسم ونفس) . وقد سبقهم افلاطون في طرح الفكرة مع اتسامها بطابع اسطوري بحيث تناول موضوع النفس الكليه من جانب اخلاقي وميتافيزيقي في آن واحد فقال ان فكرة النفس الكليه ترتبط الى حد كبير بفكرة الخيرية في العالم فلا وجود لخير خارج وجود النفس فالقول بالخير يؤدي الى القول بالنفس ، والله هو الذي خلق النفس الكليه خلقها من المتشابه واللامتشابه فهي اذاً خليط من المعقول واللامعقول(٣٠) .

ومن خصائص النفس الكليه عند افلاطون الحركة الى جانب المعرفة فهي علة حركة الاجسام في العالم لانها تمتلك الحركة بذاتها بينما الاجسام تتحرك بعلة خارجية وحركة النفس الكلية شاملة تشمل كل الوجود(٣١) ويرى ابو بكر الرازي ان النفس الكليه جوهر مجرد وانها قديمة قدم القدماء الخمسة وهي علة حيوية الابدات والاجسام لكل الكائنات على سبيل الايجاب (كفيض النور عن الشمس) ولكنها جاهلة ، ان النفس الكليه عند الرازي قديمة غير مخلوقة قدم الباري بينما عند افلاطون كانت النفس الكليه مخلوقه من المعقول واللامعقول ، والنفس الكليه عند الرازي جاهلة لا تعلم الحقائق بينما عند افلاطون تمتلك المعرفة الكلية الشاملة .

---

(٣٠) انظر ـ بدوي ، عبد الرحمن ـ افلاطون ص ١٨٤ .
(٣١) بدوي ، عبد الرحمن ـ افلاطون ص ١٥٨ .

يقول الرازي (اما النفس فانها فيض عن الحيوية فيض النور عن القرص ولكنها جاهلة لا تعلم الاشياء(٣٢) .

النفس الكليه لا تعلم العلوم التصديقيه الا بعد ان تمارسها فعلى سبيل المثال ان الانسان لا يتعلم السباحة الا بعد ان يمارسها ، فجهل النفس جاء من كون النفس قديمة ولا تذكر احوالها في القدم فهي قديمة جاهلة قبل التعلق بالابدات خالية من العلوم وانما تحصل لها العلوم بعد الممارسة وذلك بعد ان تتعلق بأبدانها الجسمانية في العالم الطبيعي المادي .

هذه النفس لو كانت عالمة لما حدث فيها رغبة للاتصال بأحدى شقيقاتها في القدم وهي الهيولي فتعلقت بها سعيا لطلب اللذة الجسمانية، ويتدخل الباري ليعيد الموازين لكلا الاثنين كما سنرى بعد حين في حديثنا عن نظرية الخلق عند الرازي واثر النفس الكليه في هذه النظرية(٣٣) .

فالرازي في حديثه عن النفس الكليه نتلمس بوضوح المؤثرات الفكرية التي تأثر بها والتراث الفلسفي العظيم الذي أطلع عليه ، ومنه التراث الفلسفي اليوناني ، كما نلمس بوضوح الاثر الصابئي في طرح الرازي لفكرة النفس الكليه اضافة الى قوله بالقدماء الخمسه الاخرى فهو طرح يغلب عليه الطابع التقليدي في تناول الموضوع من اوجهه المختلفة .

اما تعريف النفس عند الرازي فنجد انه لا يخرج عن التعريف التقليدي الذي سار عليه مجمل الفلاسفة بدءا بسقراط وهو اول من ادخل مصطلح الروح على ذلك الجوهر الباطني الذي يكون مغايرا لطبيعة البدن وهو (النفس) فيعرف الرازي النفس بأنها جوهر مغاير لجوهر البدن هذا

---

(٣٢) رسائل فلسفية ص ٤ ـ ٢ .
(٣٣) رسائل فلسفية ص ٢٠٥ .

التعريف كما يقول الدكتور محمود قاسم قد اخذ به معظم فلاسفة الاسلام ابتداءا بالكندي أول فلاسفةالاسلامو انتهاءا بأبن رشد مرورا بأبن سينا الذي قدم بناءا نظريا شاملا في النفس البشرية وهو اعظم من كتب في ميدان النفس بعمق شديد فاستحق لقب فيلسوف النفس البشرية(٣٤) .

المهم ان مفهوم النفس الكليه عند الرازي يعتبر المرتكز الاساس الذي يبنى عليه نظريته في الخلق ونشوء الاشياء كما سنرى لاحقا .

ثانيا : النفس الكلية والنفوس الجزئية :

ان الحديث عن النفس في سماتها وخصائصها يقود بالضرورة الى السؤال هل ان النفس واحدة ام متعددة ؟ هل ان هنالك نفس واحدة ام ان هنالك عدة نفوس ؟ والجواب سيكون في مقارنة خصائص النفس مع خصائص البدن . ان النفس واحدة وهي لا تقبل القسمه في حين ان الجسم قابل للقسمه لان الجسم مادي والنفس لا مادية روحانية ، فالرازي في كل الاحتمالات ينظر الى النفس على انها كل واحدة لا تقبل القسمه فلا توجد نفسان لجسم واحد ولا يوجد جسمان لنفس واحدة اذا كيف تكون هنالك نفوس جزئية اذا كانت النفس واحدة ، فهل صدرت النفس الجزئية من النفس الكليه ؟ ام ان النفوس الجزئية متمايزة بعضها عن البعض الاخر .

الرازي يبدو انه قد اقترب كثيرا من طرح افلاطون في هذا الجانب وابتعد عن ارسطو ، افلاطون يقول ان النفس الانسانية ما هي الا جزء من النفس الكلية فهي تشبه النفس الكليه لانها صادرة عنها بل هي صورة

---

(٣٤) د . قاسم ، محمود ـ في النفس والعقل ص ٢٢ ـ ٢٣ .
(٣٥) الدكتور بدوي ، عبد الرحمن ـ افلاطون ص ١٨٦ .

مصغرة للنفس الكليه(٣٥) .

وذهب افلاطون الى ابعد من ذلك فقال لما كان العالم يحب ان يكون له نفس لكي يحصل على حركة ذاتية مستمرة تناول الصانع الذاتية كجنس اعلى وهي جوهر غير منقسم واضاف اليه جوهرا منقسما وهي الغيريه ، وتمت هذه الاضافة في فوهة البركان فمزج من هذا المركب ما نسميه بالنفس الكلية فالنفس الكلية تتصل بالعالم كله(٣٦) من الاسفل الى الاعلى او من المركز الى الاطراف وجوهرها تحقيق حياة ازلية على مدى الزمن فما بقي من الخليط وزعه الصانع على الكواكب التي هي في نظر افلاطون ارواح آلهية يعتنون بالعالم ، ويكشف الصانع (الالهة عند افلاطون) لنفوس الاحياء الموزعة على الكواكب جميع قوانين اتصالها بالاجسام وخلاصا منها وان هذه النفوس تنطلق فتتصل بالاجسام المعنية بها هذه النفوس والتي تتصل بالاجسام هي النفوس الجزئية التي سوف تعود الى حالتها الاولى بعد الموت اي الى صفتها الازلية فتصبح هي والنفس الكلية شيئا واحدا .

هذه الاراء الافلاطونية سوف تجد صداها في مباحث الافلاطونية المحدثة وخاصة عند افلوطين الذي تساءل كيف تصدر النفوس الجزئية من نفس كلية مما يؤدي ذلك الى انقسامها .

يقول افلوطين ذلك ممكن اذا فهمنا الانقسام او الصدور على أنه عملية منطقية لا مادية كما هو الحال في العالم فأن المفاهيم التي تؤثر في العلم لا تؤثر في طبيعته وانها مترابطة ولكنها متمايزة فان النفوس الفردية قد انبثقت من نفوس كلية لا تفسد عليها وحدتها وانها مترابطة ولكنها متمايزة فالنفوس الفردية متميزة الواحدة عن الاخرى لكل نفس جسد

---

(٣٦) محمد جلوب فرحان ـ النفس الانسانية ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

ولكنها في نفس الوقت تؤلف وحدة النفس الكلية(٣٧) .

فالرازي في هذا السياق وضمن حديثه عن الوحده والكثرة يكاد لا يخرج عن تفسيرات افلاطون ومباحث الافلاطونيين المحدثين في النفس الكلية والنفوس الجزئية فالنفس الكلية عنده واحدة وهي أزلية والنفوس الجزئية عبارة عن صور مصغرة للنفس الكلية تؤلف وحدتها وتعود الى عالمها الاول بعد الموت فالنفس عنده خالدة لا تفنى بفناء البدن .

ثالثا : قدم النفس وعلاقتها بخلق العالم :

يقول الدكتور عرفان عبدالحميد « ان عقيدة أسبقية الروح على البدن ظهرت في الفكر اليوناني وخاصة عند فيثاغورس وافلاطون وان افلاطون يعتبر من اشهر دعاة هذه النظرية فقد ارتبطت بأسمه وصارت من معالم فلسفته في النفس الانسانية »(٣٨) .

ان النفس الانسانية عند افلاطون تتمتع بوجود سابق على البدن وتعلم كل شيء وتتذكر احوالها في القدم وتسكن في سعادة ابدية لانها تعيش في عالم الربوبية عالم الكمال المطلق والخير المطلق والجمال المطلق فهي تتمتع بوجود روحاني خالص مبرأ من المادة في عالم قدسي وان سقوطها في الجسم كان بسبب اقترفته فكان الجسم اشبه بالكهف المظلم للنفس لتبدأ النفس من جديد التطلع نحو عالمها الاول(٣٩) .

هذه الفكرة لقيت صداها في الفكر العربي الاسلامي فمنهم من رحب بهذه النظرية ومنهم من التزم بنصوص الشريعة فوقف منها موقف الضد . فانقسم الفلاسفة والصوفية والمتكلمين الى شقين فريق ذهب الى القول

---

(٣٧) نفس المصدر السابق في ص ١٤٢ ـ ١٤٤ .
(٣٨) راجع . عبد الحميد ، عرفان ـ الفلسفة في الاسلام ص ١٩٧ .
(٣٩) نفس المصدر في ص ٢٠١ .

بأن النفس حادثة بحدوث البدن وانكروا وجود ازلي مستقل لها ، هذا الرأي جاء به اهل الشرع من التزموا بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية ومنهم من آثر بوجود سابق للنفس على البدن. لقد انقسم الفلاسفة الى شقين منهم من قال بوجود سابق للنفس على البدن ومنهم من قال بحدوث النفس مع حدوث البدن(٤٠) ، والرازي واحد من الفلاسفة الذين اقروا بوجود سابق للنفس على البدن فأنكر حدوث النفس مع البدن فقال يقدم النفس الكليه اضافة الى قوله بقدماء خمسة هم الله والنفس الكلية والهيولي والزمان المطلق والمكان المطلق .

ان نظرية الخلق تعتبر حدا وسطا بين نظرية الفيض الذي نادى بها الفارابي في الفكر الاسلامي والتي لاقت رواجا بين فلاسفة القرن الثالث والرابع الهجري بالرغم من انها كانت مجافية لروح وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف دون ان يكون ذلك قصدا من الفارابي الى الالحاد(٤١) وبين الحل الذي قال به المتكلمين وهو القول بالخلق من لاشيء فالعالم في نظرهم مخلوق مبدع من لا شيء (كن فيكون) اما الرازي فقد انتقد الاثنين معا فأنكر فأنكر القول من لا شيء وانكر القول بالفيض او الصدور الذي اعتبره يقلل من قدرة الباري عز وجل فقدم نظرية في الخلق تختلف عن تلك النظريتين معا اعتبرها حلا شاملا لمسألة الخلق .

النظرية قائمة على اساس ان الرازي لم يقل ان العالم قديم على رأي اولئك الفلاسفة الذين انكروا حدوث العالم بالزمان والمكان بل قال ان العالم مخلوق ، ومن هذا الجانب يكون ابو بكر الرازي قد انكر الابداع فقال ان الله خلق العالم من قدماء خمسة على غرار تلكم القدماء التي قال بها الصابئة الحرانيون(٤٢) .

---

(٤٠) نفس المصدر في ص ٢٠٢ .
(٤١) راجع د . محمد العبد ، عبد اللطيف ـ اصول الفكر الفلسفي ص٨٠
(٤٢) الدكتور حسام محي الدين الالوسي ـ في الفلسفة ص ٢٠ .

فالنفس الكليـة تعتبر الركيزه الاولى في نظريـة الخلـق وحدوث الاشياء اضافة الى باقي القدماء الخمسة ، فالنفس بأعتبارها ازليه قديمة وهي حية اضافة الى ذلك فهي جاهلـة اي لا تتذكر احوالهـا في القدم والدليل على ذلك يشير اليه د . بينس (في مذهب الذرة عند المسلمين) « لو كانت النفس قديمة لتذكرت احوالهـا في القدم » . فرد الرازي ان التالي باطل فالمقدم مثله لان الملازمة ممنوعة فهي قبل التعلق بالابدان جاهله خالية من العلوم وانما عقل بها العلوم بعد الممارسة(٤٣) فالنفس بسـبب جهلها حدثت فيها رغبة للتعلق بالهيولي ثالث القدماء الخمس فعشـقت الهيولي بغية الحصول على اللذة الجسـمانية لكن الاخيرة رفضت هذا الاتحاد فجاء تدخل الباري ليضع الامور في مقاييسها الصحيحة ويوازن بين الاثنين معا فكان عقابه على النفس الكليه والهيولي فعاقب الهيولي بأن مكّن لها من النفس الكلية ان تدخل في كل جزء من أجزءها فتتحول النفس الكلية الى نفوس جزئية وعاقب النفس الكلية بأن ادخل فيهـا العقل بعد علم انها بدات تنسى عالمها الاول ولجأت الى طلب اللذات الجسمانية فجاء بالعقل على سبيل الهداية والتذكر والادراك فصار العقل والادراك شيئا واحدا لتتذكر عالمها عالم الروحانيات ولاجل اخبارها ان مكانهـا من هذا العالم وقتي وان عالمها الاول الازلي هو عالم الربوبية عالم الروحانيات وعالم الخلود والسعادة الابدية فما دامت النفس في الهيولي لا تنفك من الالام وان جميع ما يفيد في هذا العالم لذة فهو في الحقيقة ليس لذة وانما هو في الحقيقة دفع للالام فاذا عرفت النفس هذا وعرفت ما اعطاها الله من العقل وسمعت قول المنادي « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك » تكون قد اشتاقت لعالمها الازلي(٤٤) .

---

(٤٣) بينس ـ مذهب الذرة عند المسلمين ص ٨٠ .

(٤٤) نفس المصدر السابق من ص ٨١ .

فالخلق عند الرازي جاء بشكلين اما القول بالطبع او بالارادة يقول الرازي « ان الله حدث عنه بالطبع فكان مطبوعا محدثا ولزم أن يكون الصانع ايضا لان الطبع لا يقع دون الفعل وما كان حادثة عن محدثة وجب أن يكون بين محدثه وحدوثه عنه بالطبع مدة متناهية حتى يتمكن في هذه المدة أن يحدث ذلك الشيء الذي حدث عنه ، فقد وجب ان العالم تأثر وجوده عن وجود صانعه بمدة متناهية(٤٥) .

اما كيف حدث العالم عن الله بالارادة فقد تناوله الرازي بقوله « فاذا كان العالم حدث عن الخالق بالارادة ولم يكن مع الصانع بالازل شيء اخر يكون قد نقله من ارادة عدم خلق العالم الى ارادة خلق بعد ان لم يخلق فوجب ان يكون مع الله تعالى قديم اخر وان يكون ذلك القديم الاخر الذي بعثه على هذا الفعل »(٤٦) .

وفي الفقرة الثانية من مسألة الخلق بالارادة الالهية اشرنا الى قديم اخر مع الله اقتضاه الخلق الارادي وقصد الرازي بهذا القديم هو النفس الكلية والتي اقام على اساسها نظريته في خلق العالم ونشوء الاشياء . فبعد ان حدث الخلق يرى الرازي ان الله اول ما خلق الانوار المضيئة وهي جواهر بسيطة روحانية وهي اول الحركات وعنصر الكائنات ، والعقل عند الرازي هو من الانوار المضيئة وهي بمثابة مادة الانفس الروحانية ومن العقل كونت الانفس الناطقة فلما وصلت النفس الناطقة بهاءها كونت النفس الحيوانية ولما صارت بهذه النفوس درجة من البهاء ابدعت فيها النفوس الطبيعية الجامدة ثم خلق الباري عز وجل كل هذه الطبائع البسيطة من الحرارة ـ البرودة ـ الرطوبة واليبوسة وكون من الطبائع البسيطة طبائع مركبة ومن الطبائع المركبة تكونت الاجرام التي سماها الاجرام

---

(٤٥) راجع رسائل فلسفية الرازي ص ٢٨٠ .
(٤٦) نفس المصدر من ص ٢٨١ ـ ص ٢٨٣ .

السماوية والارضية وركب من الحرارة واليبوسة النار وحرك الباري جل جلاله الهواء بقدرته فصار ذلك الهواء ريحا فحرك الريح الماء فصارت موجا وهكذا بدات الاشياء بالحدوث وظهورها على وجه الطبيعة(٤٧) .

ومن هنا نستشف ان النظرية التي قدمها الرازي لا ينكر فيها اثر الباري عز وجل في عملية الخلق فهو الذي خلق العالم وهو يعني بهذا العالم في كل محطة والعقل هو خير مثال على دليل العناية الالهية للعالم فيكون الرازي قد قدم نظرية في الخلق تختلف عن تلك النظريات التي طرحها الفلاسفة والمتكلمون ، مما جعل هذه النظرية تجابه بردود فعل عديدة وانتقادات كثيرة بأعتبارها خروجا على العقيدة الاسلامية والغاء الفكرة ابداع العالم .

---

(٤٧) راجع د . عبد اللطيف محمد العبد ـ اصول الفكر الفلسفي ص ٨٢ ـ ٨٣ .

المصـــادر والمراجـــع

١ ـ الرازي ـ رسائل فلسفية ـ حققها وقدم لها بول كراوس .

٢ ـ د . محمد العبد ، عبد اللطيف ـ اصول الفكر الفلسفي عند الرازي ـ القاهرة ١٩٧٧ .

٣ ـ د . فائق ، فرات ـ الرازي ـ الطبعة الاولى ـ بغداد ١٩٧٣ .

٤ ـ د . الجلبي ، داود ـ الرازي ـ الطبعة الاولى ـ الموصل ١٩٤٨ .

٥ ـ د . قاسم ، محمود ـ في النفس والعقل ـ الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٤٩ .

٦ ـ بينس ـ مذهب الذرة عند المسلمين ـ ترجمة محمد عبد الهادي الوريده ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٩٤٦ .

٧ ـ د . التكريتي ، ناجي ـ الفلسفة الافلاطونية عند مفكري الاسلام ـ الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٧ .

٨ ـ د . عبد الحميد ، عرفان ـ تاريخ الفلسفة في الاسلام ـ بغداد ـ بلا تاريخ .

٩ ـ محمد جلوب فرحان ـ النفس النسانية ـ الطبعة الاولى ـ الموصل ١٩٨٦ .

١٠ ـ د . فخري ، ماجد ـ دراسات في الفكر العربي ـ بيروت ١٩٧٧ .

١١ ـ دي بور ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية ـ ترجمة ـ محمد عبد الهادي ابو ريده ـ الطبعة الخامسة ، القاهرة ، بلا تاريخ .

١٢ ـ د . الوسوي ، موسى ـ من الكندي الى ابن رشد ط (١) ١٩٧٢ .

١٣ ـ د . بدوي ، عبد الرحمن ـ افلاطون ـ بيروت ، ط (١) ١٩٤٢ .

المـراجـع :

١ ـ ابن النديم ـ الفهرست ـ تحقيق رضا تجدد .

٢ ـ تاريخ الفكر العربي حتى ايام ابن خلدون ـ د . عمر فرخ ، الطبعة الاولى ١٩٦٢ .